التى عايشها طوال الشهر المنقضى وهذه الأهوال التى مرت به والتى لم يكن يتصور أن تنتهى بسلام يجد أمامه لحظة وصوله هذا المشهد الدرامى.. لقد نضب معين دموعه وجفت مآقيه وتجمدت مشاعره.. كان يمنى نفسه بالراحة بعد عذاب.. والسكينة بعد انزعاج.. كان يرنو إلى شحنات معنوية من أفراد أسرته تعود عليها وغمروه هم بها.. لقد وصل فى وقت غير مناسب.. كان يجب أن يصل مبكرا حتى يلحق بالعضو المفقود من أسرته.. ربما استطاع مساعدته. ربما نجح فى انقاذه على الأقل ربما استطاع توديعه وتقبيله قبل أن يفارق الحياة.. لكن هكذا أراد الله ولا راد لقضائه ولابد لنا من الانصياع لمشيئته.. وراح القارىء يردد آيات معبرة عن قدرة الله على بعض عباده.. واختياراته التى لايمكن لعقولنا أن تدركها ولانملك أمامها إلا الرضا والقناعة بما قسمه منها.

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتى لم تمت فى منامها.. فيمسك التى قضى عليها الموت.. ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.. ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وقع نظره من جديد على وجه شقيقه.. انه ينبىء عن أن المصاب جلل. الخسارة فادحة.. الصلة التى تربطه بالمتوفى صلة وثيقة.. ترى من يكون.. لابد أن يكون واحدا من أعضاء أسرته الصغيرة.. هم خمسة ليس لهم سادس.. أربعة أشقاء وأمهم.. آه.. لقد ماتت أمى.. ماتت من كان يود لقياها ولو للحظة.. كم كان يود أن يرتمى فى حضنها وينهل من نبع حنانها.. كم كان يشتاق لذراعيها وهى تضمه إلى صدرها وكفيها وهو يغمرها بقبلاته ويلثمها بقلبه قبل شفتيه.. آه خرجت من صدره بزفرات ساخنة ، مادت الأرض تحت قدميه واظلمت الدنيا فى عينيه واختفى بريق الثريات التى ملأت السرادق وتحول إلى شعاعات باهتة تلوح من بعيد خلف دموعه التى بللت ملابسه.. لم يستطع أن يكتم آهاته أو يحبس آناته أو يتحكم فى زفراته .. آه قالها من جديد.

كان يود أن يسند رأسه على صدرها ويقترب أكثر من نبض قلبها..